معرض تمارا السمرّائي.. حكايات عدة في سرد واحد

محمد شرف 2016-01-23 AM 01:34

نشر هذا المقال في جريدة السفير بتاريخ **23-01-2016** على الصفحة رقم 13 – ثقافة

الوصول إلى غاليري «مرفأ»، حين تزورها للمرة الأولى، يبدو معقداً لا في إيجاد المكان فحسب، بل لأن كلمة «مرفأ» تتقاطع في أذهاننا مع مشاهد سفن تجارية ومراسي، وبضائع وسلاسل حديدية ومستودعات، وعمال ومرابين وروائح مال وصفقات. تبدو الغاليري، حينها، كواحة ذات وجه خاص، غريب عن المكان، فهي أشبه بجزيرة تقع في محيط لا يمتّ إليها بصلة.

داخل هذه الغاليري، الحديثة العهد نسبياً، تُعرَض أعمال تمارا السمرّائي، الفنانة من أصل كويتي المقيمة في لبنان، وهي أعمال تشير رؤيتها، منذ النظرة الأولى، العارفة،

إلى كونها ذات بعد شعوري يخرج عن الإطار التقليدي، أكان من حيث الأسلوب والتقنية، أم لجهة انتسابها المعلن إلى نمط حداثوي، مع الأخذ في الاعتبار كل ما صارت تحمله كلمة حداثة من تفسيرات وأبعاد ومضامين.

وربما كان الانطباع الأول، لدى رؤية الأعمال المعروضة، يشي بمسألتين: أولاهما أن السمرّائي ضليعة بفن الرسم، والمقصود هنا إمكان تمثيل الأشياء بحسب طبيعتها الموضوعية، وثانيهما بنزعة الفنانة نحو تنفيذ أعمال لا تبدو كاملة الجهوزية، وخصوصاً لجهة تغليب الرسم الخطوطي، في بعض الأحيان، على المساحات الملوّنة ضمن العمل الواحد. هذا الأمر، إن أشار إلى شيء، فإلى أن السمرائي كانت قامت بعمل تأسيسي توضّحت على قاعدته المفاصل التأليفية للعمل، ما قد يؤدي، في هذه الحالة، إلى اكتفاء ذاتي بجوهر الفكرة، استناداً إلى رؤية، ذاتية بدورها، تعتبر أن اكتمال العمل هي مسألة نسبية من حيث الأساس، ولا تخضع لمعايير وقوانين. هذه المعايير، حين يتمّ التقيّد بها حرفياً، تصبح من مستلزمات الفن التشخيصي الكلاسيكي وشروطه، وهو الذي يذهب أحياناً إلى مبالغات تقليدية تنزع عن العمل صفته الشعورية، أو تقلّصها إلى حدودها الدنيا.

بُعدٌ ما ورائي

هذه الصفة الشعورية، والتعبيرية في طبيعة الحال، حاضرة في أعمال السمرّائي، المنضوية تحت عنوان «مد»، وهي التسمية التي اختارتها الفنانة لمعرضها، وإن كانت هذه الكلمة، المرتبطة بالناحية الشعورية المذكورة، تتنازع المكانة الماورائية مع رؤى أخرى، سنطلق عليها صفة فلسفية، مع تسجيل الحذر المرتبط بإيراد كلمة فلسفة، لكونها صارت شبه مستهلكة نظراً لاستعمالها في المكان الخطأ أحياناً. في كل الأحوال، يبدو أن البعد الماورائي المذكور هو الغالب في الأعمال التي نحن في صددها، وهذا البعد يتلازم مع مزج الموتيفات، المتناقضة أحياناً، في اللوحة، بلا خوف من تسجيل موتيف ما في شكل جزئي ومقتطع (أرجل القامة البشرية الممدَّدة على الأرض المقطوعة من تحت الجذع، على سبيل المثال). على أن هذه المقاربة، التي تبدو غريبة للوهلة الأولى، تقع ضمن منحى تأليفي يوازن ما بين العناصر التي تتألف منها اللوحة، ويتلازم مع شح لوني مقصود، معقود على بعض من الهندسة الخطية، وإشارات جنسية، وكأن الفنانة شاءت أن تجمع روايات عدة في سرد واحد. أما في حال تغليب اللون على الرسم، فإن القرار اللوني يصبح هنا مونوكروماً في طابعه، أقرب منه إلى الاستفاضة في التنوّع، وهذا النهج المونوكرومي قلّما يستخدم ألواناً حارة، بقدر اللجوء إلى الأسود والمادي ومتفرعاتهما وبعض من الأزرق.

خلاصة، يمكننا القول إن رؤية تمارا السمرائي للواقع الموضوعي، من خلال رواياتها التشكيلية، لا تحمل إلاّ النذر اليسير من التفاؤل، وهي نظرة نتقاسمها معها، في انتظار أن تحمل لنا الأيام القادمة ما يمكن أن يدحض وجهة النظر هذه.

([]) يستمر المعرض حتى 27 شباط في غاليري «مرفأ» ـ منطقة المرفأ، رقم 1339